دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق
المؤلف الرئيسي:	سعد، رابحة محمد ضعين
مؤلفين آخرين:	أحمد، يحيى علي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2000
موقع:	الكويت
الصفحات:	1 - 165
رقم MD:	585016
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الكويت
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الكويت
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، الدراسات اللغوية، السياق القرآني، الفصل والوصل، الاجمال والتفضيل، أدوات الشرط
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/585016

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جامعة الكويت
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها
رسالة ماجستير

وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق

إعداد الطالبة
رابحه محمد ضعين سعد

إشراف
د.يحيى علي أحمد

يقر الموقعون أدناه أنهم اعتمدوا الأطروحة المقدمة من : رابحة محمد ضعين

الموقعون	تاريخ التوقيع
د. يحيى علي أحمد	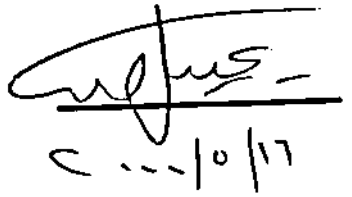
أ.د. محمود سليمان ياقوت	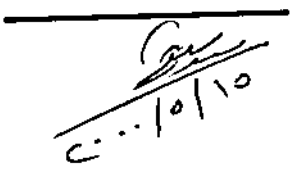
د. عبد العزيز سفر	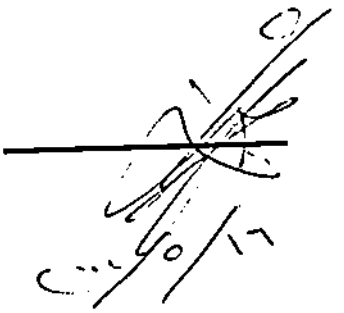

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الخلاصة	1
المقدمة	2
تمهيد :	
السياق	9
الباب الأول : الوسائل اللغوية :	
الفصل الأول : حروف العطف	33
الفصل الثاني : أدوات الشرط	83
الباب الثاني : الوسائل النصية – الدلالية :	
الفصل الأول : الإحالة	100
الفصل الثاني : التكرار	112
الفصل الثالث : الفصل والوصل	133
الفصل الرابع : الحذف	141
الفصل الخامس : المناسبة	147
الفصل السادس : الإجمال والتفصيل	155
الخاتمة	157
المراجع	159

الخلاصة

يتناول هذا البحث موضوع وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق . وقد تم تقسيم البحث إلى وسائل ربط لغوية تشمل :

أدوات العطف

أدوات الشرط

ووسائل ربط نصية – دلالية تعتمد على التأويل النصي والدلالي .

وقد عالج البحث ضمن هذا التقسيم موضوعات أساسية مثل :

حروف العطف

أدوات الشرط

الإحالة

التكرار

الفصل والوصل

الحذف

المناسبة

الإجمال والتفصيل

ويكون البحث في النهاية قد قدم صورة متكاملة عن موضوع الربط في اللغة العربية مستمدة أمثلتها وشواهدها من القرآن الكريم بالدرجة الأولى .

*****

المقدمة

يتناول هذا البحث موضوع وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق . حيث سنحاول في هذا البحث دراسة بعض أنواع وسائل الربط في اللغة العربية والمعاني المختلفة التي يمكن أن تؤديها ، وسنحاول الكشف عن تأثير السياق بأنواعه في دلالة تلك الوسائل ؛ لأن النص القرآني لا تفسر الجملة منه أو اللفظة منفردة ، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآني كله ، وهي ما يسمى بالسياق اللغوي .
وقد يفسرها ما هو خارج عن النص القرآني مثل السنة المطهرة وأسباب النزول ، وكل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني من متكلم ومخاطب وغيره .

فمن خلال العنوان نتعرف على أن البحث يدور حول وسائل الربط كما ورد استعمالها في القرآن الكريم ، أي أن أغلبية الشواهد التطبيقية ستكون مستقاة من الكتاب العزيز .
علما بأن تلك الوسائل كثيرة ومتعددة إلا أنني لضيق المجال اقتصرت على الوسائل الرابطة التي صنفتها ضمن وسائل لغوية ووسائل ربط نصية دلالية كما سنلاحظ ذلك لاحقا .
وسبب آخر لاقتصاري على تلك الوسائل الرابطة المحددة هو أنني لجأت إلى شرح وتفصيل كل أداة ودلالتها على حدة وليس مجرد ذكر الأدوات وسردها وتصنيفها فقط ، فهو لم يكن عملا جدوليا .
كما أن هدف البحث لم يكن حصر جميع وسائل الربط الواردة في القرآن الكريم .

والربط موضوع طويل متشعب ذو تفاصيل كثيرة ، حيث إنه ظاهرة تركيبية تؤدي في النهاية إلى تكوين جمل كبرى ، وهذه الجمل الكبرى يمكن أن نجزؤها إلى جمل أصغر .
والذي يحقق الربط بين الجمل الصغرى لتندمج وتتحد في جملة كبرى محكمة هي وسائل الربط . وهذه الأهمية التي تقوم بها وسائل الربط هي التي استوجبت تقسيمها إلى قسمين رئيسيين يؤدي كل قسم منها وظيفة الربط ضمن إطار معين :

1- **القسم الأول** : الوسائل اللغوية وهي وسائل مؤسسة لغويا تؤدي وظيفة الربط ، منها : أدوات العطف وأسلوب الشرط . ودلالة الربط هنا دلالة مباشرة .
2- **القسم الثاني** : وسائل ربط نصية دلالية تعتمد على التأويل النصي والدلالي ، بحيث يفهم منها في نهاية الأمر أنها تؤدي وظيفة الربط في النص ، منها : الإحالة ، **التكرار** ، **الفصل والوصل** ، **الحذف** ، **المناسبة** ، **الإجمال والتفصيل** .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه بعد المقدمة إلى تمهيد وبابين وخاتمة .

فأمّا التمهيد :

فقد درست فيه موضوع السياق نظرا للدور الفعال الذي يقوم به في الكشف عن المعاني الوظيفيـــة لبعـض وسائل الربط ، حيث إن هناك وسائل رابطة لا يتضح معناها إلا في ضوء السياق الذي ترد فيه .
لذلك كان لزاما علينا التفصيل في موضوع السياق وتوضيحه وبيان أقوال علمائنا الأفاضل فيه وأقوال اللغويين المحدثين .

وقد قمت بشرح نظرية السياق التي تبلورت على يد **فيرث** ، وبيان مدى تأثير هذه النظرية في العلوم الأخـرى وفي حقل الدراسات اللغوية خاصة من بعده .

وقد بينت تقسيم العلماء للسياق حيث ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما السياق اللغوي وسياق الحال ، والأخير يضم كلا من السياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي ، وقد تم توضيح هذه الأقسام بالاستعانة ببعـض الأمثلة التوضيحية .
بعد ذلك بينت اهتمام الدراسات القرآنية بالسياق بنوعيه اللغوي والحالي .
وأما الباب الأول فجاء بعنوان **الوسائل اللغوية** وقد قسمته إلى فصلين هما :

1- الفصل الأول : حروف العطف .

تناولت في هذا الفصل حروف العطف باعتبارها وسيلة ربط لغوية ، فهذه الحروف تقوم بدور كبير في ترابـط الجمل ، بل في ترابط النص ككل ، فيؤدي معنى حروف العطف نفسه دورا في مشاركة المعطوف والمعطـوف عليه ، فقد تكون على سبيل الموافقة في الحكم إثباتا أو نفيا أو المخالفة فيه .
وقد استلزم اختلاف معاني حروف العطف تعددها ، وقد أدرك علماؤنا العرب معاني كل حرف ؛ لأن هنـاك معاني أخرى يحققها حرف العطف زيادة على معنى الربط بين المعطوف والمعطوف عليه . وقـد ذكـرت في محلها .

وقد بينت أن معاني هذه الحروف ليس للحرف نفسه ولكنها للسياق كما سيتضح ذلك لاحقا ، وبعض هـذه الحروف لا نستطيع إبدالها بحروف أخرى في التعبير عن معان نفسها . فالتركيب يقوم بتحديد نوعية الحـرف المستخدم لحاجته لمعنى معين يراد التعبير عنه .
وقد تم تقسيم حروف العطف إلى قسمين اثنين :

1- حروف العطف الإيجابي .

2- حروف العطف السلبي .

وهذا التقسيم يسهل عملية متابعة كل قسم على حده .

وقد قمت ببيان معاني كل حرف على حدة بالتفصيل موضحة هذه المعاني بالشـــواهد القرآنيـــة الكريمـــة أو بالشواهد المستوحاة من تراث اللغة العربية سواء أكانت شعرا أم نثرا .

وقد بينت في هذا الفصل عملية التفاعل التي تتم بين السياق ومعاني الحروف وإلى أي مدى يؤثر الســـياق في معنى الحرف وبالمقابل كذلك إلى أي مدى يتأثر معنى الحرف بالسياق الذي يرد فيه .

وفي نهاية هذا الفصل أوردت بعض الأدوات التي لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم ، وذلك لكي أقدم صـــورة متكاملة لأدوات الربط بحيث يمكن لغيري من الدارسين توظيفها في عمل علمي آخر .

2- الفصل الثاني : أدوات الشرط .

يتناول هذا الفصل أدوات الشرط باعتبارها وسيلة ربط لغوية ، فهي تربط بين جملتين جاعلة إحداهما بســـبب من الأخرى ، وقد بينت أهميتها وتقسيم النحاة لها إلى حروف وأسماء وما يتعلق بتفصيلاتها النحوية .

ونظرا لطبيعة بحثي فقد ركزت على المعاني الدلالية للأدوات الشرطية وتناولت كل أداة على حـــدة وبيـــان معانيها في السياقات المتنوعة ، وقمت بتقسيمها إلى مجموعتين هما :

1- **أدوات جازمة** (حروف وأسماء) .

2- **أدوات غير جازمة** .

وذلك حتى تسهل على المتلقي ملاحظة الفروق بين ما تتضمنه كل مجموعة .

وفي نهاية هذا الفصل أوردت أيضا بعض أدوات الشرط التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم ، ولكن نجدهـــا مبثوثة في أدبنا العربي .

أما **الباب الثاني** : فجاء بعنوان **الوسائل النصية – الدلالية** ، وأقصد بذلك الأدوات والوسائل الربطية الـــتي تؤدي معنى الربط من خلال النص والتأويل الدلالي المناسب ، حيث إن تلك الوســـائل لا يمكـــن أن تفـــهم وظيفتها خارج النص . وقد قسمته إلى ستة فصول هي :

1- الفصل الأول : الإحالة *ANAPHORA* :

تعد الروابط الإحالية من أهم الوسائل التي تحقق التماسك للنص ، درسها النحاة من خلال الضمائر وأسمـــاء الإشارة والأسماء الموصولة وعناصر معجمية أخرى في عدة مواضع ، إضافة لاجتهادات المفسرين النيرة عنـــد معالجتهم لبعض نماذجها من الآيات القرآنية .

وقد برز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني ، وبسبب هذه الأهمية تمت دراســـتها في ســـياقات مختلفة .

وقد عرفت في هذا الفصل **الإحالة** وبينت أنواعها ، فهناك **إحالة ضميرية وإحالة إشـــارية** وهنـــاك **إحالـــة باستخدام أدوات المقارنة** . إلا أنني ركزت على الإحالة الضميرية والإشارية في هذه الدراسة لشيوع ورودهـــا

في النص القرآني ولاهتمام المفسرين بدراستها ، حيث أسفرت دراستهم تلك عن تحليلات عظيمة للشـــواهد القرآنية كما سنلاحظ ذلك لاحقا .

وقد ناقشنا الإحالة بوصفها وسيلة ترابط بين أجزاء النص ، وقد بينت إدراك مفسري القرآن الكـــريم لهـــذه الوظيفة ومدى تعمقهم في تفاصيلها الدقيقة .

2- الفصل الثاني : التكرار :

عالجت التكرار باعتباره وسيلة ربط ، وبينت نوعيه ، فهناك تكرار لفظي وهناك تكرار معنـــوي ، مســـتعينة لتوضيحها بالشواهد القرآنية الكريمة .

وقد أخذ مني موضوع التكرار – خاصة – وقتا وجهدا كبيرين ، نظرا لخصوصيته إلا إنني حقيقة وجدت متعة في دراسته .

ووجوه التكرار في القرآن الكريم عديدة ، إلا إنني ركزت على تكرار الجملة في النص الواحد وتكرار القصـص (أي تكرار قصة في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة) وكذلك تكـــرار بعـــض العناصر في عدة قصص .

ويتضح في هذا الفصل جهد علمائنا العرب الأجلاء ، حيث لاقى اهتماما عظيما منهم . وقد أوردت عـــدة نصوص صرح بها علماؤنا بدور التكرار في وصل أول الكلام بآخره ، وقد بينت كذلك الوظائف التي يؤديـــها التكرار في السياقات المختلفة ، مبينة في هذا الشأن إدراك مفسري القرآن الكريم للتكرار باعتباره وسيلة ربط .

وقد ذكرت شواهد لتكرار الجملة في سورة معينة ، مثل التكرار الواقع في السور التالية :

سورة القمر، سورة الرحمن، سورة المرسلات .

بعد ذلك قمت بتحليل التكرار الواقع بين مجموعة قصص الأنبياء الواردة في نص واحد ، ثم اخـــترت تكـــرار قصة معينة في أكثر من نص .

٥٤٥١١٩

3- الفصل الثالث : الفصل والوصل :

لقد تطرقت لموضوع الفصل والوصل لما له من شأن عظيم في بيان كيفية تماسك الجمل وترابطها سواء أكـــان هذا الترابط قد تم بواسطة وسائل لغوية ظاهرة مثل العطف بالواو ، أم بواسطة وسائل دلالية معنوية كـالتوكيد وغيرها.

وقد اتضح في هذه الجزئية جهد علماء البلاغة خاصة وإدراكهم لأهمية هذا الموضوع وعلى رأسهم العالم الجليل عبدالقاهر الجرجاني حيث ربط الفصل والوصل بباب العطف وحدد مواضع كل منهما ، وقد تخلل الشـــرح ذكر الشواهد القرآنية ، إضافة للأمثلة اللغوية التوضيحية .

4- الفصل الرابع : الحذف :

تناولت في هذا الفصل الحذف بوصفه علاقة تضمن اتساق النص وترابطه ، حيث إننا نتعرف على المحـــذوف اعتمادا على أدلة سياقية تنبهنا وتدلنا عليه سواء أكانت أدلة مقالية أم مقامية .

وقد عرفت الحذف لغة واصطلاحا ، وبينت آراء علماء اللغة العربية حوله ، ثم ذكرت أغـــراض الحـــذف في القرآن الكريم ، وقد اتضح لنا دور السياق بنوعيه في توضيح علاقة الحذف .
بعد ذلك انتقلت إلى بيان أنواعه من خلال الشواهد القرآنية .

5- الفصل الخامس : المناسبة :

تناولت موضوع المناسبة لأنه يبحث في أسباب الربط بين آيات تبدو في ظاهرها منقطعة الصلة لا ارتباط بينـها إلا أنها من حيث البنية العميقة متماسكة الأجزاء ذات صلة وطيدة .

ونقصد بالمناسبة – هنا – المناسبة المعنوية ، فهي من أهم وسائل الربط الدلالية التي تربط بين آية وآية أو سورة وأخرى وإن تباعدت المسافة بينهما .

وقد اتضح – لنا – في هذا الفصل إدراك مفسري القرآن الكريم وعلماء اللغة العربية لأهمية هذا العلم ، فمـــن خلاله تم استنباط وجوه ارتباط دقيقة بين الجمل ، أو بين الآيات ، أو بين السور كما سنلاحظ ذلك .

وقد درست موضوع المناسبة من جانبين ، الجانب الأول هو **مناسبة الآيات بعضها لبعض** متضمنة التناســـب بين فواتح الآي لخواتمها ، أما الجانب الآخر فهو **تناسب السور بعضها لبعض** .
وقد كان المعتمد الأساسي للتوصل إلى هذه العلاقة هو **السياق** .

6- الفصل السادس : الإجمال والتفصيل :

تدارست علاقة الإجمال والتفصيل بوصفها علاقة دلالية تعمل على تحقق الترابط للنص ، حيث إن هذه العلاقة تقوم بربط أجزاء النص بواسطة استمرار معنى ما في الجمل لاحقة أو نصوص لاحقة .

وقد تناولت هذه العلاقة من خلال الاعتماد على وجود معان مجملة في آية ثم تفصل بعد ذلك في آيات مـــن السورة نفسها ، وكذلك من خلال وجود علاقة بين سورة وسورة فتذكر معان مجملة في سورة لتفصـــل في الأخرى .
وقد جلبت الشواهد القرآنية المناسبة لتوضيح هذه الفكرة .
ثم كانت الخاتمة وفيها عرضت لأهم نتائج البحث .

وقد استعنت بالعديد من المراجع في بحثي هذا ، حيث تنقلت بين كتب علمائنا القدامى من نحـــاة وبلاغيـــين ومفسرين وغيرهم إضافة إلى كتب علماء اللغة المحدثين .

فمن أهم **كتب النحو** التي اعتمدت عليها : مغني اللبيب لابن هشام ، وشرح الكافية للرضي ، ورصف المباني في حروف المعاني للمالقي ، والمفصل لابن يعيش ... الخ .

ومن أهم **كتب المفسرين** التي قامت بدور كبير في توضيح فكرة البحث هي : كتاب الرازي التفسير الكبير ، والكشاف للزمخشري والتحرير والتنوير لابن عاشور ، ولا ننسى كتاب الشيخ عبدالخالق عضيمة دراسات لأسلوب القرآن الكريم وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ، وكتاب الفيروزآبادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز وكتب الشيخ عبدالقاهر الجرجاني .

أما **كتب علماء اللغة الأجانب** فمن أهمها : كتاب اللغة والمعنى والسياق لجون لايتر ، وكتاب دور الكلمة لاولمان وكتاب الدلالة لبالمر ، وأما كتب علمائنا العرب المحدثين فمن أهمها : كتب الدكتور تمام حسان ، وكتاب محمد خطابي لسانيات النص وغيرها .
وهناك العديد من الكتب الأخرى التي ذكرتها في صفحة المراجع .

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتقدم بموفور الشكر وعظيم الامتنان إلى مشرفي على هذا البحث أستاذي الفاضل الدكتور يحيى علي أحمد الذي أشرف على رسالتي إشرافا دقيقا منذ بدايتها بمراجعة كتابتي وقراءة الفصول بصورتها الأولية وإسداء النصح والتوجيه القيم والتزويد بالملاحظات والآراء العلمية الصائبة ، وكذلك توفيره لبعض المراجع والتشجيع الدائم وتذليله الصعاب أثناء تنفيذ وإعداد هذا العمل .
فهذا التعاون المثمر والجاد كان له عظيم الأثر في إنجاز وإظهار هذه الرسالة بصورتها الحالية .
كما لا أنسى فضل الأستاذ الفاضل الدكتور محمدحماسه عبداللطيف الذي أسهم في وضع اللبنات الأولى لهذا البحث .
وكذلك أشكر أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية الذين لم يبخلوا في تقديم يد العون عند لجوئي إليهم .

وأتمنى أن يحقق بحثي هذا الهدف المنشود منه ، وأن يكون ذا فائدة علمية ، وإن كان هناك قصور في معالجتي لجزئية ما ، فعذري أنني حددت لبحثي مجالا محددا ، وما أنا إلا طالبة علم ، وأرجو أن يكون بحثي محاولة بسيطة لتسليط الضوء على جانب من جوانب لغتنا العربية .

*****

السياق

للسياق أثر كبير في الدلالة على ما يقصده المتكلم ، ودور مهم يقوم به في تحديد معاني الكلمات ، حيث إن معانيها تتعدل أو تتحدد تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها . وكذلك فإن استعمالنا للغة في المواقف المختلفة سيظهر لنا كيف أن المعنى يصبح مفهوما أو أكثر وضوحا من خلال الاستعمال الفعلي .

ويقصد بالسياق الجو العام الذي يحيط بالكلمة ، وما يكتنفها من قرائن وعلامات . فالكلمة الواحدة بل الجملة الواحدة قد تحمل مدلولين متناقضين تماما دون أن تختلف الكلمة في بنائها الداخلي ، وإنما الذي تغير هو " السياق " والقرائن المحيطة ، أي أن الكلمة تتخذ قيمتها الدلالية من السياق الواقعة فيه .

أسهم هذا الدور الفعال للسياق في جذب عدد من الباحثين المحدثين لتحديد المعاني اللغوية بناء على معطيات السياق الذي ترد فيه الكلمات . "وقد سعى هؤلاء إلى تخليص دراسة المعنى من المناهج الخارجة عن اللغة من جهة وجعل هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي داخل اللغة من جهة أخرى"(1) .

وقد اهتم علماء اللغة قديما وعلماء اللغة العربية – خاصة – بالدور الذي يؤديه سياق الحال ، بل كانت لتلك الفكرة جذور ضاربة في القدم تمتد إلى عصر أفلاطون وأرسطو وعلماء البلاغة العربية(2) .

كذلك ظهرت إشارات متفرقة عند كل من دوسوسير وريتشاردز في كتابه " النقد التطبيقي 1929 " ، حيث كانت تلك الفكرة ماثلة في ذهنيهما.نفهم ذلك من خلال تفريق دوسوسير للغويات إلى لغويات داخلية ولغويات خارجية، على اعتبار أن الأولى هي بمثابة دراسة محايثة ***Immanente*** للغة في حين أن اللغويات الخارجية هي عبارة عن دراسة للعلاقات القائمة بين اللغة من جهة وبين الدوائر المؤثرة عليها كالحضارة والتاريخ والسياسة وعلم النفس ... الخ من جهة أخرى(3) .

أما عند ريتشاردز فقد اتضح جانب من تلك الفكرة لديه عند تحديده للدلالات الانفعالية للغة بثلاث جهات :

أ- وجدان (***Feeling***) ويفسره بأنه : موقف القائل مما يتحدث عنه .

ب- نبرته (***Tone***) وتعني : موقف القائل من سامعه .

ج- قصد (***Intention***) ويعني : الأثر الذي يحاول القائل إحداثه لدى مستمعه (4) . يتبين من هذا إدراكه لبعض جوانب سياق الحال ، حيث يظهر المتكلم والمستمع والأثر .

1- انظر أحمد قدور : مبادئ اللسانيات ، ص294 ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1996 .

2- انظر حلمي خليل : مقدمة لدراسة اللغة ، ص312 ، دار القلم ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، 1989 . بتصرف .

3- انظر محمد الموسى : نظرية النحو العربي ، ص89 ، دار البشير ، الأردن ، الطبعة الثانية ، 1987 .

4- انظر شكري عياد : اللغة والإبداع ،ص45 ، القاهرة ،1988 . وانظر محمد خضير : الدلالة والتركيب ، ص 119 ، دار الزهراء ، القاهرة ، 1993 .

وكذلك المدرسة السلوكية بزعامة بلومفيلد فإنها لم تتجاهل بعض ما يمكن أن يسمى بالعناصر الاجتماعية وإن عبرت عنها بمصطلحات خاصة بها . حيث اهتم بلومفيلد ببعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام ، واعتبرها عنصرا ضروريا لإدراك معنى الكلام . فنلاحظ أن المدرسة السلوكية لم تتجاهل في الحقيقة شخصية السامع وبعض الظروف المحيطة بالكلام ، بل اهتمت بتحليل المظاهر الفسيولوجية الطبيعية خاصة . وقد وجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير مجالات الكلام ، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة(1) .

من هذه المستويات الخاصة ، مثلا ، التجارب الشخصية . فلو أن الفتاة (جل)-في المثال المشهور عن بلومفيلد*- كانت تعرف من تجاربها الشخصية السابقة أن الفتى (جاك) الذي كان يسير برفقتها لم يكن متعاونا ، أو مقتدرا بدنيا على تسلق شجرة ، لما فتحت فاها حين شعورها بالجوع ورؤيتها لشجرة التفاحة بقولها : " أنا جائعة " ، ولكانت فضلت الجوع في مثل ذلك السياق . وقد كان بالمر محقا في ملاحظته أن هذا النوع من السياق يعتمد على عوامل مسبقة ، وعلى الوقائع الكاملة لحياة كل من المتكلم والمستمع .

ونتيجة لذلك عرّف بلومفيلد معنى الصيغة اللغوية كما يقول "بالمر" بأنه :"الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالمعنى، والاستجابة التي يحدثها المعنى في السامع " ، وهذه الفكرة تمتد إلى أبعد مما ذهب إليه كل من مالينوفسكي وفيرث فهما قد حددا صياغات المعنى بالنظر إلى الموقف ، وبلومفيلد يعّرف المعنى- أساسا- باعتباره الموقف"(2) .

وكما ذكرنا إنه على الرغم من وجود فكرة السياق ودلالته على المعاني الحقيقية للكلام منذ عهد أفلاطون وأرسطو وعلماء البلاغة العربية القدامى ، فإن هذه الفكرة ظهرت على يد " فيرث Firth "(3) . الذي جعل منها نظرية علمية عُرفت بنظرية "السياق" أو نظرية "فيرث للمعنى".وقد " أكد فيرث على الوظيفة الاجتماعية للغة معتمدا على آراء "بروسلاومالينوفسكي" العالم الأنثروبولوجي البولندي الذي وجد صعوبة في ترجمة بعض آداب الشعوب البدائية ** ، وذلك خلال قيامه بأبحاث ميدانية في جزر التروبرياند جنوبي الباسيفيك وتوصل

1- انظر محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص309 ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1992 ، بتصرف .

* انظر بالمر : علم الدلالة إطار جديد ، ص81-82 ، ترجمة صبري السيد ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ، 1986 ، بتصرف . وانظر محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص305-306 ، دار الفكر العربي ، مصر ، بتصرف .

2- بالمر : المرجع السابق ، ص81 .

3- "يعتبر فيرث مؤسس المدرسة الإنكليزية الحديثة في الدرس اللغوي ، وقد عرفت مدرسة لندن بما يسمى بالمنهج الوظيفي التي تضمنت أسماء أشهرها Mcintosh و Halliday وغيرهما " . يحيى أحمد : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، عالم الفكر ، المجلد العشرون ، ص649 .

** "وما دونه مالينوفسكي في هذا المجال (خبر عودة صيادين بعد رحلة صيد موفقة) الذي نقله إلى الإنجليزية : (we – run front – wood ourselves ... we turn we – see companion – ours he – runs rear wood) وترجمته على النحو التالي : (نحن – نجري أمام – خشب أنفسنا .. نحن نتحول نحن – نرى زملاء – نا هو يجري بعضب – خشب) .فهذا التعبير لا يمكن أن يفهم إلا حين يوضع في السياق الذي يستعمل فيه ، لأن هذا السياق وحده هو الذي يبين أن كلمة -wood - تشير إلى مجداف الزورق ، وهذا بدوره يعني أن اللغات الحية على خلاف الميتة تستعمل في مواقف خاصة كصيد السمك والفلاحة ، ولا تنفصل عن سياقها المقامي " . بالمر : علم الدلالة ، ترجمة خالد جمعة ، ص96 ، وترجمة صبري السيد ، ص74 .

إلى ضرورة وضع الكلمات في سياقها الذي استخدمت أو نطقت فيه" (1) . وكان يرى أن اللغة ليست وسيلة من وسائل توصيل الأفكار أو الانفعالات أو التعبير عنها أو نقلها وإنما كان يرى أن اللغة كما يمارسها المتكلمون في أي جماعة من الجماعات إنما هي نوع من السلوك وضرب من ضروب العمل .

واستخدم "مالينوفسكي" **مصطلح سياق الحال أو ما يسمى بالسياق المقامي** CONTEXT OF SITUATION ليدل به على نظريته ، حيث وجد مجموعة من التعبيرات لا يمكن أن تفهم إلا حين وضعها في سياقها الذي تستعمل فيه ؛ لأن هذا السياق كفيل ببيان معناها بلا لبس ولا غموض . فأضفى على الاصطلاح معنى خاصا وإن كان قد استعمل قبله .

ثم تطور هذا المصطلح تطورا ملحوظا باستعمال فيرث له في دراساته اللغوية ، فقد كان سياق الحال عند مالينوفسكي -كما مر بنا- ذلك الجزء من العملية الاجتماعية الذي يمكن تأمله منفردا ، أما فيرث فيُرجع الفضل إليه في أنه نظر إلى سياق الحال باعتباره جزءا من أدوات عالم اللغة(2) ، فبين فيرث أن أنواع الوصف اللغوي كلها " أصوات ونحو ... الخ " وأيضا سياق الحال هي صياغات للمعنى .
أي أن فيرث استفاد من السياق المقامي الذي أشار إليه مالينوفسكي ؛ لأن هذا السياق سهل له البحث في ذلك الجزء من الظواهر الاجتماعية الذي له علاقة بالسلوك اللغوي ، وقد فضل فيرث أن يضمه إلى أدوات عالم اللغة .

نفهم من ذلك أنه اعتبر السياق جزءا أصيلا من عملية التحليل اللغوي ؛ لأن دراسة البنية اللغوية مقطوعة عن سياقها هي جزء من دراسة الكل التفاهمي إن صح التعبير ، حيث تمثل البنية جانبا واحدا منه .

ولذلك رأى أن خير ما يمثل العملية التفاهمية هو الفيلم الناطق الذي يجمع بين النص الكلامي والصورة الخارجية للمحيط الذي يجري فيه الكلام من حيث السياق اللفظي والنفسي ، وكل ذلك له تأثير واضح في ظهور المعنى وتحديده ، ورفع الغموض عنه . كما كان من رأيه أن الظروف الخارجية أو المقام يمكن أن تقسم إلى أنواع وأن تحلل إلى وحدات تربطها علاقات(3) .
لهذا اقترح مجموعة من العوامل أو الاعتبارات التي تكون عناصر السياق وهي(4) :

أ- الملامح ذات الصلة الوثيقة بالمشتركين : الأشخاص ، الخصائص الذاتية المميزة ، الفئات السنية ...

1-بالمر : المرجع السابق ، ترجمة صبري السيد ، ص74-75 ، بتصرف .

2-انظر محمود السعران : المرجع السابق ، ص310 . وانظر بالمر : المرجع السابق ، 76-77 .

3-انظر محمد خضير : المرجع السابق ، ص121-122 .

4-انظر بالمر : المرجع السابق ، ترجمة صبري السيد ، ص77 . وترجمة خالد جمعه ، ص98 ، بتصرف ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ط1 ، 1997 .

ب- **الحدث الكلامي للمشتركين** : أي العبارات التي نُطقت بالفعل ، وما صاحبها من حدث غير كلامي (أي الحركات والإشارات) .

ج- **الأشياء المادية ذات الصلة بالأحداث الكلامية** .

د- **تأثيرات الحدث الكلامي**(1) .

فالمقام عند فيرث يشمل مجموعة عناصر الموقف الكلامي الكامل ، مثل المتكلم والسامع والكلام وكل ما يحدث أثناء عملية الكلام من انفعالات واستجابات ، وكل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه من قريب أو بعيد ، ويدخل في ذلك الظروف الثقافية العامة لطرفي التبادل في الكلام .

فكل إنسان يحمل ثقافته معه وكثيرا من حقائقه الاجتماعية أينما ذهب ، وكما قال د.تمام حسان :" إن جانبا كبيرا من تحليل المعنى يكون بإيجاد الترابط بين نتائج الدراسة الدلالية التي قام بها عالم اللغة اعتمادا على الماجريات والتجارب "(2) .

إذن السياقات المقامية تصنف اعتمادا على هذه العوامل لصلتها الوثيقة في التحليل الدلالي . نستخلص مما سبق أن معنى الكلمة عند أصحاب نظرية السياق نستشفه من " استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه "(3) .

أي أن معنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة ، أي تسييق الوحدة اللغوية كما صرح فيرث ؛ لأن اللفظة الواحدة أو التركيب الواحد يمكن أن تكون له دلالات وإيحاءات متعددة كلما وضعناه في سياقات متعددة ذات علاقات جديدة . وأن معظم معاني الوحدات الدلالية لا يمكن وضعها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها(4) .

نلاحظ تركيز المدرسة السياقية على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة ، فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات وبحث مجموعة الكلمات المتلازمة معها والمواقف التي ترد فيها ، لغوية كانت أم غيرلغوية . **فتعدد معنى الكلمة يعتمد على تعدد السياقات التي تقع فيها أي تبعا لتوزعها اللغوي**(5) أي أننا لا ننظر إلى

1-انظر يحي أحمد : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، عالم الفكر ، المجلد العشرون ، ص82 .

2-تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، ص96 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1979 .

3-أحمد مختار : علم الدلالة ، ص68 ، دار العروبة ، الكويت ، 1982 .

4-انظر أحمد مختار : المرجع السابق ، ص69 .

5-انظر أحمد مختار : المرجع السابق ، ص69 .

الكلمة في نفسها منفردة ، بل ينظر إليها مع غيرها في السياق . فالدارس المعجمي -كما يقول - أولمان : " يلاحظ كل كلمة في سياقها كما ترد في الحديث أو النص المكتوب،ثم يستخلص من ذلك العامل المشترك العام ويسجله على أنه المعنى أو المعاني المرتبطة بالكلمة"(1) . وبسبب تركيز هؤلاء الباحثين على أهمية السياق الذي ترد فيه الكلمة ، فإن ذلك جعلهم ينفون أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة في جميع الأحوال هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه(2) .

وقد بالغ بعض الباحثين حين رأى أن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم ، إذ أن أولمان يرى أن هذا الرأي تبسيط للأمور ومبالغة ضخمة ؛ لأن للكلمات المفردة معاني يتواضع عليها المتكلمون والسامعون ثم تُدون في تصنيفات المعجم . أي لابد للكلمات من معان ثابتة مركزية ، مع أن بعض معاني الكلمات يشوبها الغموض الشديد . ثم يشرح أولمان السياق بشكل موسع حيث يقول :" فالسياق يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة ، ليس ذلك فحسب بل يشمل القطعة كلها والكتاب كله ويشمل أيضا كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات ، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها في هذا الشأن "(3) .
نلاحظ إشارة " أولمان " إلى سياق النص إلى جانب سياق الجملة .

وعلى هذا الأساس فإن نظرية السياق تمثل حجر الزاوية في علم الدلالة . حيث أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي ، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتا ، كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات وظهرت هذه الوسائل في أول أمرها على يد " أوغدن " و " ريتشاردز "(4) .

ولابد في هذا المقام من ذكر عالمنا الجليل عبدالقاهر الجرجاني "ت 471 هجري " الذي قال :" والألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينها من فوائد "(5) .

يبين الجرجاني أن السياق هو الذي يمد الألفاظ بالمعاني التي تميز كل لفظ عن غيره وتجعل له قيمة ، فالفائدة التي تحملها الألفاظ نبعت من انضمام بعضها إلى بعض ، أي خلق سياق يحيط بها.

1- كما نقله عنه أحمد مختار : المرجع السابق ، ص72 .

2- انظر أحمد قدور : المرجع السابق ، ص294 . وكذلك د . يحيى أحمد : المعنى بين الاتجاه التجريدي والوظيفي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد الرابع ، 1984 ، ص60 .

3- أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ص62 ، ترجمة كمال بشر ، مكتبة الشباب ، 1987 .

4- انظر أولمان : المرجع السابق ، ص66-67 ، بتصرف . وانظر فايز الدايه : علم الدلالة العربي ، ص220 ، دار الفكر ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1985 ، بتصرف .

5- الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص495 . تحقيق محمود شاكر ، الخانجي ، مصر ، 1984 .

فالجرجاني لم يهتم بمعنى الكلمة منفردة بعيدا عن السياق أو التركيب وذلك لأن الكلمة - في نظره- تكتسب معناها من خلال علاقاتها مع بقية الكلمات المحيطة بها . وسنعود لاحقا لنستعرض بعض آراء الجرجاني.

ولنعد بعد هذا الاستطراد إلى ما ذكرناه عن تطور مفهوم "السياق" عند فيرث .
لقد تم تقسيم السياق إلى قسمين على يد فيرث وهما :

1- السياق اللغوي (Linguistic Context) :

ويتمثل في العلاقات الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية كما يشمل ترتيب الوحدات داخل الجمل وعلاقاتها(1) .

2- سياق الحال :

ويمثله العالم الخارجي أو المحيط المتعلق باللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي ، ويتمثل في الظروف الإجتماعية والبيئية والنفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام كما مر بنا(2) .
ولكن K.Ammer اقترح تقسيم السياق إلى أربعة أقسام (3) :

أ- السياق اللغوي .
ب- السياق العاطفي .
ج- سياق الموقف .
د- السياق الثقافي .

وسنذكر هذه الأقسام بشيء من التفصيل .

أولا : السياق اللغوي :

وهو الذي يبين علاقة العنصر اللغوي أو الوحدة اللغوية بالعناصر اللغوية أو المجاورة(4) . فالسياق اللغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصا محددا ، ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف

1- انظر محمد خضير : الدلالة والتركيب ، ص122 ، دار الزهراء ، القاهرة ، 1993 .
2- انظر حلمي خليل : العربية وعلم اللغة البنيوي ، ص135 ، دار المعرفة الجامعية ، 1988 .
3- انظر أحمد مختار : المرجع السابق ، ص69 .
4- انظر محمد خضير : المرجع السابق ، ص123 .

أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك(1) . فالمعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك خلافا للمعنى الذي يقدمه المعجم ، فطبيعة المعنى في المعجم تختلف عن طبيعته في السياق . مثال ذلك اختلاف مدلول كلمة "ضرب" لاختلاف السياق كما يظهر في الخطابات التالية :

قال تعالى : " **وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ** " البقرة : 60 . فمدلول كلمة "ضرب" في الآية هو الإصابة ، أي إصابة الحجر بالعصى ، وقوله تعالى " **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ** " النساء : 101 ، فـ "ضربتم" في هذا السياق بمعنى "سافرتم" .
وقوله تعالى " **فَضَرَبْنَا على آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** " الكهف : 11 ، فـ "ضربنا" في هذا السياق بمعنى " أنمناهم " . ويقولون في اللغة العربية : ضرب الدرهم ، بمعنى سبكه وطبعه ، وضرب الجزية عليهم أي أوجبها . ويمكننا أن نضيف إلى ذلك معاني أخرى من قبيل : ضرب أحماسا في أسداس ، بمعنى احتار ، وضرب 5×3 بمعنى أجرى عملية حسابية وغيرها من المعاني السياقية الأخرى .

وكذلك يمكن التمثيل للسياق اللغوي بكلمة "يد"(2) التي ترد في سياقات مختلفة ومتنوعة مثل :
1- **أعطيته مالا عن ظهر "يد"** : يعني تفضلا ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة .
2- **"يد" الفأس** : أي مقبضها .
3- **"يد" الريح** : سلطانها ... الخ .

وكذلك مثل كلمة "عين" التي تعتبر من المشترك تقع في سياقات لغوية متعددة ، كل سياق يضفي عليها معنى معينا مثل :
1- **"عيني" تؤلمني** : يقصد بها العين الباصرة .
2- **إنه "عين" للأعداء** : أي جاسوس .
3- **في الجبل "عين" جارية** : أي جدول ماء .
4- **حرف "العين"** : حرف من حروف اللغة العربية ... الخ .

فالسياق هو الذي يحدد أحد المعاني المشتركة في اللفظ الواحد ، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن وإنما يقوم على تركيب يُوجِد الارتباط بين أجزاء الجملة ، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب(3) .

1- انظر أحمد قدور : مبادئ اللسانيات ، ص295 ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1996 .
2- انظر أحمد مختار : المرجع السابق ، ص70 .
3- انظر صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص308 . دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة التاسعة .

والسياق اللغوي أوضح ما يكون عند عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز حيث يدرس العلاقة بين أجـــزاء الجملة ، فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بســـبب من تلك(1) . وهنا نجد أن عبدالقاهر يتناول تلك العلاقات من منظور لغوي فيبني الترابط بينها على أســـاس السياق .

ويدخل في السياق اللغوي القرائن اللغوية* ، ففي قوله تعالى :" **أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ** " النحل : 1 ، يدل الفعل " أتى" بصيغته الصرفية على المضي ولكن ارتباطه بجملة "فلا تستعجلوه" يصرفه من دلالـــة المضـــي إلى دلالة المستقبل(2) .

وكذلك التنغيم من هذه القرائن ، حيث يقوم النبر الخلافي (أو التركيزي) ***Contrastive Stress*** بتوضيح الكلمة المقصودة ضمن جملة . ويقوم التنغيم ***Intonation*** بتحديد بعض المعاني مثل الاستفهام والتعجـــب والتقريـــر أو الإخبار والاستهزاء ، وسنعود لاحقا للحديث عنه .

ويعتبر **التساوق أو الرصف** ***Collocations*** من السياق اللغوي ، وهو ما عرفه فيرث بأنه :" الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة ، أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتـــين اســـتعمالهما عـــادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى "(3) ، فالكلمة قد تنتظم مع كلمات وقد تتنافر مع كلمات أخرى . ومثال ذلـك كلمة "منصهر" التي تتلاءم مع كلمات مثل "حديد - نحاس - ذهب... الخ " ولكنها لا تتلاءم مع كلمـات أخرى مثل "جلد" وغيره(4) .

فغالبا ما تصاحب الكلمة في سياقها اللغوي مجموعة من الكلمات الأخرى التي يكون بينها شيء مشترك مـــن الناحية الدلالية .وكما قلنا إن عبدالقاهر الجرجاني قد سبق هؤلاء الباحثين المحدثين وذلك من خلال نظريتـــه المعروفة " **بالنظم** " .

وتعتبر نظرية الرصف أو التساوق امتدادا لنظرية السياق أو تطورا عنها إلا أن بعض الدارسين عدوها نظريـــة مستقلة نظرا لما تميزت بها من أحكام وقواعد(5) .

1- انظر الجرجاني : المرجع السابق ، ص55 .

* " وتسمى النظرية السياقية أو القرينية لاعتمادها على القرائن في بيان المعنى " أحمد مختار : المرجع السابق ، ص72 .

2- انظر محمد حماسة عبداللطيف : النحو والدلالة ، ص117 ، مطبعة المدينة ، مصر ،الطبعة الأولى ، 1983 .

3- أحمد مختار : المرجع السابق ، ص74 .

4- انظر أحمد مختار : المرجع السابق ، ص74 .

5- انظر أحمد مختار : المرجع السابق ، ص77 .

ثانيا: السياق العاطفي (*Emotional Context*) :

يختلف السياق العاطفي عن السياقات الأخرى في كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال (1) .
فالسياق وحده الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي أو أنها قصد بها - أساسا - التعبير عن العواطف والانفعالات وإلى إثارتها (2) .

إذن السياق العاطفي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ، فيحدد طبيعة استعمال الكلمة . ويتضح ذلك -كما يقول أولمان- في مجموعة كلمات مثل " حرية وعدل " إذ تشحن عادة بمضمونات عاطفية . ولتوضيح هذه الفكرة يضرب أولمان مثالا آخر يتمثل في كلمة " الجدار* " التي ترد على لسان المتكلم في تلك المقطوعة الشعرية فتعبر عن انفعالات نفسه ، فيرى الجدار مرة حلوا ومرة أخرى لئيما ، فنلاحظ اختلاف دلالة " الجدار " عن دلالته الموضوعية المعروفة .

ومثله اختلاف كلمة " Love " الإنجليزية عن كلمة " Like " رغم اشتراكهما في أصل المعنى(3) . وهكذا ، تصبح الكلمات الدالة على الانفعالات المختلفة متفاوتة من حيث درجة الانفعال وفق السياقات العاطفية التي تتوافر فيها عادة .

وكذلك فإن السياق العاطفي يحدد نوعية الكلمات ، فحين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال يتم اختيار كلمات ذات شحنة تعبيرية قوية ، فنلاحظ الشخص الغاضب يستخدم عبارات وكلمات تدل على غضبه وانفعاله ، وقد يلجأ في أشد حالات الغضب إلى استخدام كلمات مثل القتل والذبح التي ربما لا يقصد معناها الحقيقي ولكنها تُصوِّر ما في نفسه من انفعال واندفاع ولا شك أن السياق العاطفي هو الذي خفف من الدلالة المباشرة للكلمة (قتل - ذبح) (وتكون هذه الصورة أكثر وضوحا في حالة تهديد الأم لابنها) ، وكثيرا ما يصاحب نطق تلك الكلمات القوية إشارات مصاحبة تساعد على إبراز المعاني الانفعالية . وسنعرض لتلك الإشارات المصاحبة لاحقا .

1- انظر أحمد حساني : مباحث في اللسانيات ، ص156 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
2- انظر أولمان : دور الكلمة ، ص63 ، بتصرف .
* (وأنت أيها الجدار . أيها الجدار الحلو الجميل .
أنت الذي تحول بين بيت أبيها وبيني .
أنت أيها الجدار . أيها الجدار الحلو الجميل .
ألا تتصدع من أجلي فأنظر بعيني ؟
شكرا لك أيها الجدار المهذب ، رعاك الله من أجل هذا الصنيع .
لا ، أنت أيها الجدار اللئيم الذي لا أرى من خلاله رحمة .
لعنة الله على كل حجر فيك . لقد خدعتني .)
3- أحمد مختار : المرجع السابق ، ص70-71 .

ثالثا: سياق الموقف (*Context Of Situation*) :

يشمل سياق الموقف جميع الظروف الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي (1) ، أي يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام . وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى مثل هذا السياق وعبروا عنه بمصطلح " المقام " وقد أصبحت كلمتهم " **لكل مقام مقال** " مثلا مشهورا .

ويرى د. تمام حسان أن المصطلح الذي عرفه مالينوفسكي " Context Of Situation " قد عرفه العرب قبله بألف سنة أو ما فوقها . لكن كتبهم لم تجد لها الدعاية على المستوى العالمي ما وجده مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في جميع المجالات (2) . ونستدل على ذلك بنص " للسكاكي " يذكره في كتابه " مفتاح العلوم " ، يبين فيه أن لكل مقام مقالا حيث يقول : " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المديح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار ...وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي... وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال " (3) .

وهنا نلاحظ أن السكاكي يحدد مقام الكلام بالحالات المختلفة التي تستخدم فيها الجمل . فهو لا يتطرق للعناصر السياقية التي تدخل في تحليل المعنى .

وكذلك ما قاله " القزويني " بهذا الصدد : " إن مقتضى الحال هو الاعتبار المناسب وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم حيث يقول النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام " (4) .

يؤكد لنا ذلك إدراك العرب القدامى لسياق الحال فيما عُرِف عندهم بمقتضى الحال . فمراعاة المقام تجعل كلام المتكلم مقبولا من قبل المجتمع ، إذ لابد من وجود المناسبة بين الكلام والموقف الذي قيل فيه . ولتحديد المعنى في بيئة معينة وظرف معين يجب الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها ، لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود في تلك الأثناء .

1- محمد خضير : المرجع السابق ، ص124 .

2- انظر تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص337 ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1998 ، بتصرف .

3- السكاكي : مفاتيح العلوم ، ص168 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987 .

4- القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص807 ، مطبعة محمد صبح ، 1982 .

وكان اللغويون العرب القدامى قد أشاروا إلى أهمية سياق الموقف أو الحال - كما ذكرنا - في إيضاح الألفاظ التي تواضع الناس عليها في المجتمع اللغوي . مثل ذلك ما ذكره ابن جني (ت392 هجري) عندما تعرض لأسباب تسمية الأشياء بمسمياتها للمرة الأولى حيث قال : " ... يكون الأول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية ، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف سبب التسمية " ثم يستطرد قائلا : " ألا ترى بقولهم للإنسان إذا رفع صوته قد رفع عقيرته ، فلو ذهبت تشتق هذا بأن يجمع بين معنى الصوت وبين معنى /ع ق ر/ لبعد عنك وتعسف ، وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم صرخ بأعلى صوته ، فقال الناس رفع عقيرته " (1) .

لقد كان ابن جني من أنصار العلاقة الطبيعية بين أصوات الكلام ودلالتها ، ونجده في هذا النص قد عمل على استحضار سياق موقفي في هذا المقام الذي تم فيه توليد دلالة للفظ مألوف في البيئة اللغوية العربية ، فقد تم تحديد دلالته بناء على السياق الموقفي الذي افترضه ، بشرط التناسب بين الحدث والصوت المصاحب لذلك الحدث . وعلى نحو مفصل يظهر سياق الحال عند عبدالقاهر الجرجاني حيث يرى أن التراكيب تتغير باختلاف المعنى المراد توصيله - حيث نجد - في التقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل وغير ذلك ، أن التركيب يختلف باختلاف المعنى المراد أو الموقف الكلامي أو غرض المتكلم (2) .

يتضح ذلك عند ملاحظتنا لتعليقه على الحذف في قوله تعالى "**واسأل القرية**" يوسف : 82 ، فالسياق القرآني يقتضي محذوفا والتقدير " **واسأل أهل القرية** " ولكن إذا جاءت " **واسأل القرية** " في كلام رجل مر بقرية قد خرّبت وباد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظا ومذكرا ، ولنفسه متعظا ومعتبرا: "سل القرية عن أهلها " فلا حذف في العبارة " (3) .

وتراثنا العربي يتضمن كثيرا من هذه الأمثلة التي تبين إدراك اللغويين والبلاغيين والنحاة **لسياق الحال** ، أو ما يسمى **بسياق الموقف** ***Context Of Situation*** ودوره في التحليل اللغوي . فسياق الموقف هو الحيز الاجتماعي والإطار الخارجي الذي تنتج فيه كلمة أو تركيب معين .

رابعا: السياق الثقافي (*Cultural Context*) :

ويشمل السياق الثقافي نظم المجتمع وتاريخه وأفكاره وتقاليده وأدواته وقيم الناس الأخلاقية والجمالية (4) . وبذلك تتميز كل ثقافة بمميزات وخصائص لا تشترك بها ثقافة في مجتمع آخر .

1-ابن جني : الخصائص ، 371/2 ، تحقيق محمد النجار ، دار الهدى ، بيروت . أحمد ياقوت : الدرس الدلالي في خصائص ابن جني ، ص39 ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1989 .

2-انظر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص106 ، بتصرف .

3- الجرجاني : أسرار البلاغة ، 302/2 ، تحقيق محمد خفاجي ، مكتبة القاهرة ، 1979 .

4- انظر محمد خضير : المرجع السابق ، ص124 .

إذن السياق الثقافي هو المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تظهر به الكلمة ، ونحن نوظف السياق الثقافي حينما نستعمل بعض الكلمات في مستويات لغوية معينة . فمثلا على مستوى المجتمع العربي نجد المثقف العربي المعاصر يستخدم كلمات لا يستخدمها الإنسان العادي مثل " **مره أو أم العيال** " للدلالة على زوجته . وهناك كثير من الكلمات نستطيع من خلالها التمييز بين مستويات مستخدمي اللغة . ولو درسنا أساليب التخاطب وطرق لفت الانتباه وتوجيه النظر إلى أمور معينة ، لاتضح لنا نماذج كثيرة من تلك الكلمات .

ومن المنظور الثقافي ، نلاحظ أن كل لغة تتضمن عددا من المفردات التي تعكس جوانب خاصة بثقافة المجتمع وتقاليده . ومن ذلك قوله تعالى : " **ما جعل الله من بَحِيرة ولا سائبة ولا وَصيلة ولا حَامٍ** " المائدة : 103 . حيث إنه لا يمكن تفسير هذه الآية إلا إذا عرفنا ثقافة المجتمع الجاهلي وعاداته ، حيث كان الذين كفروا يفترون على الله الكذب ويجعلون من هذه الأنواع من الإبل تقاليد عبادهم للطاغوت (1) .

وكذلك اختلاف معنى كلمة " جذر " عند المزارع عنه عند اللغوي ، ولها معنى آخر عند عالم الرياضيات (2) وهكذا. وكذلك معنى كلمة " كافر " يتغير مدلولها من سياق ثقافي إلى آخر (3) ، ففي المحيط الثقافي للبيئة الزراعية يعني المزارع الذي يفلح الأرض ، وقد ذكر ذلك ابن فارس بقوله : " ويقال للزارع (كافر) لأنه يغطي الحب بتراب الأرض ." والدليل على ذلك قوله تعالى : " **كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما** " الحديد : 57 . أما في المحيط الثقافي الديني فتعني الجاحد لوحدانية الله ، وهذا المدلول الأخير نجده في قوله تعالى :" **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله**" البقرة:161 .*

يضاف إلى ذلك كله أن العديد من الكلمات لها ارتباط وثيق بالثقافة ، إذ تحمل الكلمات هنا أوضاعا ثقافية معينة لتكون علامات للاتجاه الديني أو السياسي أو العرفي مثل كلمة " **فتح** " للدلالة على الحرب وكسب الأرض لا تساوي مدلول كلمة " **احتلال أو غزو** " لأن كلمة " **فتح** " لها دلالة ثقافية تاريخية إيجابية (4) .

وبسبب أهمية السياق الثقافي وتأثيره على اختلاف دلالة الكلمات ومعانيها ، وجب على المشتغلين في حقل الترجمة مراعاته ، وذلك يتطلب من المترجم الإلمام بالسياق الثقافي للنص المترجم حتى ينقل مضمونه للغة الأخرى نقلا صادقا دقيقا مؤديا المعاني نفسها التي يؤديها النص الأصلي . وذلك لوجود كلمات تعبر عن عقائد ومذاهب سياسية .

1- انظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص220 ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1993 .

2- انظر أحمد مختار : علم الدلالة ، ص71 .

3- انظر أحمد حساني : المرجع السابق ، ص160 .

* انظر كذلك اللسان (كفر) .

4- انظر أحمد قدور : المرجع السابق ، ص300 .

وفي ختـــام حديثنا عن **السياق الثقافي** وأهميته لابـــد من بيان إدراك علمـــاء العربيـــة القدامى لهذا النوع من السياق وإن اعتبروه عنصرا من عناصر سياق الحال . وسنكتفي بمثال عند الجرجاني وذلك عندما علق علـــى البيتين التاليين :

قول الصلتان العبدي :

أشاب الصغير وأفنى الكبير (م) كرّ الغداةّ ومرّ العشي

وقول أبي الإصبع العدواني :

أهلكنا الليل والنهار معا والدهر يغدو مصمما جذعا

حيث يقول عبدالقاهر : " كان طريق الحكم عليه بالمجاز أن تعلم اعتقاد التوحيـــد ، إمـــا بمعرفـــة أحوالهـــم السابقة.." (1) . لأن قوله " بمعرفة أحوالهم السابقة " تدل على إدراكه لأهمية الثقافة أي " **السياق الخارجي** " في تحديد المعنى المراد .

نلاحظ أن السياقات السالفة الذكر " السياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي " تتفرع من سياق الحال "الموقف" كما أطلق عليه فيرث ، فحتى لا يحدث خلط بينها نفضل تقسيم "بالمر" للسياق (2) ، حيث قســمه إلى نوعين بارزين : " **سياق لغوي وسياق غير لغوي** " . أي أن السياق غير اللغوي يضم كلا من " **الســياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي** " .

و لم يلق هذا الاتجاه السياقي القبول من علماء اللغة فحسب ، بل تعدى صـــداه إلى الفلســـفة حيـــث أيـــده الفيلسوف " Wittgnestein* " الذي يقول : " لا تفتش عن معنى الكلمة بل ابحث عن استعمالها " (3) .

ويقصد بذلك أن معنى الكلمة ليس إلا طريقة استخدام لها في حياتهم اليومية . فإذا لاحظنا استخدامنا العـــادي للغة نجد الكلمة الواحدة ذات دلالات عديدة بقدر الحالات والسياقات والظروف المختلفة التي تستخدم فيـــها

1- الجرجاني : أسرار البلاغة ، 272/2 .

2- انظر بالمر : المرجع السابق ، ص69 .

* " يؤكد Wittgnestein هذه الفكرة بقوله (إن شرح معنى الكلمة يكون بإظهار كيفية استخدامها) ومن ثم (فأنت تفهم معنى الكلمة لأنـــك تعرف كل استخدامها) فمعنى الكلمة (يتحدد بناء على الظروف المختلفة التي تستخدم الكلمة في حدودها بالفعل) . وهو يؤكد هـــذه الفكـــرة بأن معنى الكلمة يتضح وحده من مجرد استخدامها ، فكما يقال في الرياضيـــات (دع البرهان يوضح لك ما يمكن البرهنة عليه) ، فإننـــا نقـــول كـــذلك (دع الألفاظ تعلمك وتوضح لك معناها) وذلك عن طريق استخدامهـــا ، حتى ليشبه Wittgnestein الألفـــاظ والأسمـــاء حـــين لا نستخدمها بالجثث الميتة ، فيقول إن كل كلمة (تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئا ميتا . وما الذي يعطي لها الحياة ؟ إنها تكـــون شـــيئا حيـــا أثناء استخدامها ، فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أم أن الاستخدام نفسه هو حياتها ؟) " . عزمي إسلام : مفهوم المعنى دراســـــة تحليليـــة، ص66-67 ، حوليات كلية الآداب ، الحولية السادسة ، الرسالة الحادية والثلاثون ، الكويت ، 1985 .

3- جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ص34 ، ترجمة صادق الوهاب ، وزارة الثقافة والإعـــلام العراقيـــة ، 1987 . أحمـــد مختـــار : المرجـــع السابق ،ص72.